

الأسس الفلسفية لمفهوم الجنوسية د/ قاسم المحبشي، أستاذ مساعد/ كلية الآداب

يعد خطاب المرأة، من أهم الخطابات التي شغلت الدوائر الثقافية والفكرية والإعلامية والأكاديمية والسياسية المعاصرة في المجتمعات الاورو أمريكية تحديداً وفي مختلف البلدان والشعوب في العالم اجمع.

وقد ارتبط ذلك الخطاب منذ اللحظة الأولى لميلاده في قلب مشروع الحداثة الأوروبية المظفرة منذ أواخر القرن الثامن عشر حتى اليوم بسلسلة متنامية من المفاهيم والمصطلحات والرموز والأفكار، والنظريات والتصورات التي منها .. الجندر، والجنوسية، والنوع الاجتماع، والأنوثة، والحركة النسوية والأدب النسوي، وحقوق المرأة، تحرير المرأة، تمكين المرأة، مشاركة المرأة، الهوية الانوثية، الجنسانية، تنظيم النسل، الهيمنة الذكورية، البطريركية، ومفهوم القمع .. الخ.

وخطاب المرأة لم يعد يقتصر على الدلالة اللغوية المفهومية، بل اخذ يتجسد في جملة واسعة من الممارسات والمستويات التاريخية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والمعرفية والأخلاقية والجمالية، والحقوقية. ففي كل مجالات وانساق الحياة المعاصرة أصبح للمرأة وقضاياها حضوراً قوياً وفعالاً فعلى صعيد المعرفة العلمية على سبيل المثال، أصبحت المرأة ولأول مرة في تاريخها ذاتاً وموضوعاً للعلم منفعة و فاعله فيه، إذ ظهرت هناك عدد من العلوم الاجتماعية والإنسانية الخاصة بالمرأة مثل: علم نفس المرأة، علم اجتماع المرأة، علم انثروبولوجيا المرأة، علم إعلام المرأة، علم اقتصاد المرأة، علم نفس الأمومة وعلم اجتماع الأسرة، وعلم الخدمة الاجتماعية والمرأة، وأنوثة الفقر، الفلسفة النسوية، والأدب النسوي، وتاريخ النساء، وأنوثة العلم أو ابستمولوجيا جديدة، بل أصبح للمرأة كليات جامعية ومراكز بحثية، وأقسام علمية وفي مجال التربية والتعليم والطب يفتتح المشهد النسوي على مجالات وممارسات واسعة ومتعددة إذ يعد الطب النسوي، المتصل بمراكز تنظيم الحمل وأمراض النساء الولادة وأدوات التجميل من المجالات الخصبة في اقتصاد العالم المعاصر. وأصبح العالم اليوم يتحدث عن العالمات والأديبات من النساء الحائزات على جائزة نوبل. ورغم أن الاهتمام بالمرأة من حيث هي إنسان جديد بالاعتبار يعود إلى عصر التنوير الحديث في القرن الثامن عشر فان الثورة الحقيقية للخطاب النسوي المعاصر، بدأت منذ سبعينيات القرن الماضي، إذ أن الوقيد الانفعالي الذي أخذ يشتعل بشأن المرأة وقضاياها في الربع الأخير من القرن العشرين بدأ معه الأمر وكأن العالم قد اكتشف لتوه وفجأة هذا الكائن اللطيف الجميل الخصب المبدع الأنيس القريب، الساحر، الفتان، الكائن الإنساني جداً الكائن الخفيف " الذي لا تحتمل خفته" حسب ميلان كونديرا.

هكذا بدا الأمر وكأننا بزاء اكتشاف كائن إنساني جديد، وكأن المرأة لم تكن هي ذلك الكائن الذي صاحب أبونا ادم منذ فجر الحياة الإنسانية وعاشت معه في كل زمان ومكان، منذ اكتشاف المرأة المعاصر بدأت تشع من العيون نظرة جديدة مختلفة كلياً عن سابقتها نحوها- على الأقل في الغرب.

هكذا ظهرت المرأة وكأنها ابرز اكتشاف للعالم المعاصر. وبسبب ما يشهده العالم المعاصر من عولمة والتي تعني انكماش الزمان والمكان والتفاعل والتواصل والاحتكاك والتأثير والتأثر بين الشعوب والثقافات والدول والمجتمعات سرعان ما شاع خطاب المرأة ومفاهيمه الآتية إلينا من بلاد الشمال في مختلف جهات الأرض، وقد كان علينا نحن القاطنون في هذه المنطقة المتوسطة من الأرض أن نتأثر ونتفاعل مع كل ما تأتي به رياح العولمة، العاصفة، وقد أخذنا نتلقف ذلك الخطاب بما يحمله من مفاهيم واصطلاحات ورموز ودلالات وترجمتها إلى لغتنا العربية بدون أن نكون على وعي عميق بمعانيها التي تشكلت في سياقات تاريخية مختلفة، محاولين إنشاء خطابنا العربي في المرأة وقضاياها.

والسؤال هنا هو كيف يمكن لنا فض وتفكيك البنية المفهومية لخطاب الجنوسية المعاصرة، هذا ما سيكون محط اهتمامنا في هذه الورقة البحثية، إذ سيكون علينا تحديد وتعريف المفاهيم الأساسية في خطاب الجنوسية والتعرف على أسسها الفلسفية التي شكلت الخلفية الثقافية السياق التاريخي لنموها وازدهارها في بيئة صناعية ثقافية مغايرة، أوربية حديثة علمانية، وكيف يمكن لنا استعمالها في بيئة ثقافية ما قبل حديثة، عربية إسلامية، لازلت تهيمن فيها النظرة الجاهلية و اللاهوتية التقليدية الذكورية إلى المرأة من حيث هي عورة يجب أن تختفي عن الأنظار؟؟